عنوان المداخلة: **الموقف البيوتيقي من العبور الجندري و** إ**عادة** **تشكيل الجسد و الهوية.**

**الأستاذة: فائزة شرماط**

**جامعة 8ماي 1945 قالمة**

**المقدمة:**

 يشهد عصرنا الراهن نشاطا مفرطا في الإجراءات الطبية المتعلقة بالعبور الجندري (الجنسي)، TRANSGENREفقد عجت مواقع التواصل الإجتماعي بنماذج مختلفة من العابرين جنسيا حيث أصبحت هناك تجارب في التعبير عن رغباتهم في التحول أو تجربتهم في العبور من حالة جندرية أنثوية إلى ذكورية أو العكس...،فأصبحنا نشاهد تواجد جنس ثالث متجاوز للجنسين الطبعيين العروفيين....

 إن مشكلة الجندر تتشكل في كيفيات القبول و التوافق الإجتماعي و السياسي و الأنطولوجي، و كذلك فهي تطرح لنا مسألة لا معقولية التدخل الطبي في التغيير الجندري للجسد و من ثمة للهوية الذاتية، لقد بات النقاش حول العبور الجندري ملحا خاصة بعد بروز منظمات و جمعيات حقوقية تطالب بضرورة منح الحقوق و تطبيق مبدأ المساواة و العدالة لهؤلاء العابرين نتساءل من خلال ما سنقدمه في هذه الورقة البحثية عن معنى العبور الجندري؟ و عن الموقف البيوتيقي منه؟ و عن الأبعاد الأنطولوجية و الإجتماعية و الأخلاقية منه؟

**أولا: مفهوم الجندر و الجندرية و العبور الجندري:**

**الجندر:** GENDRE1\_

يتضح مفهوم الجندر من خلال الفروق الجنسية بين الرجل و المرأة و يتحدد هذا الفرق وفقا للقواعد الإجتماعية و الثقافية التي ألزمت كل جنس بدوره في الحياة،و ما يجب الإشارة اليه هنا هو أن الجندر يتجذر في الأعراف الإجتماعية لا في البيولوجيا ذلك أنه ينبع من التصورات المسبقة للمجتمعات المتعاقبة حيث تحدث المقارنات بين الرجل و المرأة و الواجبات الإجتماعية و دور كل منهما في المجتمع.

 اذن إن مفهوم الجندر يوضح الفروق بين الرجل و المرأة و الوظيفة لكل منهما و هذه الفروق هي نتاج لعوامل دينية و ثقافية و سياسية و اجتماعية أي أنها فروق صنعها البشر عبر تاريخهم الطويل ، و هي فروق يمكن تجاوزها في اطار المساواة بين الرجل و المرأة في حين لا يمكن تجاوز الفروق الفيزيولوجية بينهما أي بين الرجل و المرأة. و هذه حتمية عضوية بيولوجية تحدد بها نوع الجنس و تفرق بينهما.

 و قد عرف الجندر في الموسوعة البريطانية " بأنه شعور الإنسان بنفسه كذكر أو انثى ... ولكن هناك حالات لا يرتبط فيها شعور الإنسان بخصائصه العضوية و لا يكون هناك توافق بين الصفات العضوية و هويته الجندرية إن الهوية الجندرية ليست ثابتة بالولادة بل تؤثر فيها العوامل النفسية و الإجتماعية بتشكيل نواة الهوية الجندرية و تتغير و تتوسع بتأثير العوامل الإجتماعية ... " [[1]](#footnote-1)، إن الشعور باللاتوافق الجندري يؤدي إلى الإجراء التحولي من جنس لإإلى آخر أو ما يعرف بالعبور الجندري أو الجنسي.

**2\_العبور الجندري:**

 يحدث عندما يملك الفرد هوية جندرية أو تعبير جندري مختلف عن الجنس الذي عين له منذ ولادته، و تسمى العابرين جندريا و هو التغيير من جنس لآخر بسبب اختلاف تعبير بعض الأشخاص عن هويتهم الجنسية و الإجتماعية عن الجنس الذي يولدون به، فالعابرون جندريا يعانون من حالات اضطرابية و خلل بين هويتهم الجندرية التي حددها لهم المجتمع و الدين و الأعراف و بين البيولوجيا الجنسية التي يمتلكونها هنا نفهم ان العابر جندريا لا يستطيع ان يجمع بين حالتين متناقضتين بين حالة تخضع لحتمية اجتماعية نمطية محددة بقيم متوارثة بين الأجيال و بين وضع صحي حرج يستدعي التدخل الإجرائي الطبي و يوصف هذا التشخيص بالمشاكل المتعلقة بكره الجسد و عدم الإرتياح معه و يكون تفكير المصاب كله منصبا على كيفية تغيير الجسد و عملية التصحيح الجنسي للجسد ليتناسب مع الهوية الجندرية.

و من الناحية التاريخية فقد عرف العبور الجندري منذ سنوات ماضية ، لكن ازداد نشاطه في نهاية القرن الماضي و بداية هذا القرن، لاعتبارات عديدة اهمها التطور الطبي في المجالين التشخيصي و الجراحين سمي العبور الجندري قديما باسم" الإحساس الجنسي المعاكس" و في عام 1966 أشاع هاري بنجامين مصطلح التحول الجنسي و في عام 1969 اطلق على هذه الحالة العالم النفساني هوت موني مفهوم " إعادة تحديد الجنس" ليصف تغيير الهوية الجنسية و الجنس.

و قد اهتم الطب منذ 1973بالتدخلات الهرمونية و الجراحية في أعادة تشكيل أجساد بعض الاشخاص الذين يعانون من اضطرابات تناسلية و من ثمة خلل في المستوى النفساني و الإجتماعي مما أدى إلى ضرورة التدخل الطبي للحد من هذه الإضطرابات و تؤكد الدراسات أن أول حالة جراحة ناجحة لعابرة جندريا تسمى" ليلي اليه" و التي شهدت رحلة عبورها صعوبات شديدة حيث حاولت طوال حياتها اثبات هويتها الجندرية و الأنثوية و قد نجحت التدخلات الطبية في النهاية من اجراء العبور الجندري لها.

و لقد شهدنا في الفترة الأخيرة عدة حالات ظهرت بشكل علني على وسائل التواصل الإجتماعي للعابرين جندريا و هذا ما ادى إلى اختلال في تحديد هوية هؤلاء من جهة و ا لإعتراف بهم ضمن المنظومة الإجتماعية من جهة أخرى، إن مسألة العبور الجندري اثارت جدلا حقيقيا على مختلف الأصعدة الإجتماعية و السياسية و الحقوقية و حتى الدينية و الفلسفية، كيف يمكن لمجتمعات تأصلت على التركيبة الثنائية ذكر و أنثى أن تتقبل نمط ثالث لا هو ذكر خالص و لا هي أنثى خالصة؟

**ثالثا: الموقف الفلسفي من الجندر و العبور الجندري:**

 الجندر من الناحية الفلسفية ليس حقيقة داخلية يمكن التشكيك فيها قبل بل هي ظاهرة تحدث و تتكاثر باستمرار و بالتالي فإن القول بأن الجندر ينطوي على أداء معين ضمنا أنه لا يوجد من لديه جنس معين منذ البداية و لكن هذا يحدث اثناء التنفيذ المستمر تميز فيلسوفة الجندر الأمريكية غوديت بتلر: " الجندر بأنه الأداء ، التدرج، الفعل، أي أن المصطلح يشير إلى التأثيرات التي ينتجها هذا الأداء بعبارات معيارية".[[2]](#footnote-2) و تقصد بتلر بتحديدها لمفهوم و وظيفة الجندر أنه ليس حقيقة سابقة عن وجوده بل هو يفرض ذاته من خلال الأداء الإجتماعي،و الثقافي.فبتلر تقدم موقفا سياسيا واضحا يدافع عن كيانها و عن حراكها تجاه عنف حقيقي و ربما ذلك تماما ما يستدعي فهما مختلفا.

ففاعلية الجندر عند بتلر هي أن يعي الفرد و المجتمع بحتمية الجندرية هذه، و أن يعي الهامش غير الحتمي فيها و الذي يمكنه من ان يكون حرا و يتفاعل و يتغير و يؤثر فيه.

و لذلك يمكن أن نقول أن هذه الحتمية تفرض على الفرد عدم تجاوز الإطار الجنسي و الجندري الذي خلق عليه، فأي محاولة لتجاوز الوضع الجندري الحاصل في الذهنية الإجتماعية يعد خرقا لكل القواعد و الأعراف الأنثروبولوجية, إن البحث عن الهوية في هذه الحالة يتطلب رحلة شاقة تستدعي منذ البداية وعيا ذاتيا بالوضع الجندري القابل للعبور نحو حالة جندرية مخالفة تماما جسديا و اجتماعيا و حتى حقوقيا، ثم تليها مرحلى التدخل الطبي بعد التشخيص لإعادة تشكيل الجسد و تحويله وفقا لما يناسب الوضعية البيولوجية التناسلية ، و يستدعي التدخل الطبي معاينة تشخيصية دقيقة على اعتبار أن من يتحول جنسيا لا بد و ان تتلازم الجراحة بالتغيرات الهرمونية العضوية و حتى الجمالية للجسد.

ترى بتلر أنه لابد من فتح الإمكانيات في نهاية الأمر بيد أنه لا أحد ممن فهموا ان يعيش المرء في العالم الإجتماعي بوصفه كائنا مستحيلا غير قابل للقراءة غير قابل للتحقق غير واقعي و غير شرعي هو من المحتمل أن يكون المرء المجندر غامضا اجتماعيا و انطولوجيا، فالكائن المتحول او العابرجنسيا لا يمكن ان يوصف بواسطة اسم امراة او رجل بل ينبغي ان تتم مقاربته عبر افعال مضارعة تشهد على التحول المستمر الذي هو الهوية الجديدة أو حالة البين بين التي من شأنها ان تضع هذا الكائن المجندر موضع سؤال عن مآله البيولوجي و الاجتماعي و الحقوقي. تقع المعضلة الكبرى في عدم القدرة على التصنيف الحقيقي للعابرين جندريا و عدم القدرة على الإعتراف بتواجدهم داخل المنظومة الإجتماعية.

و من الناحية الفلسفية يعد البحث في مسألة الجندر و الجندرية امتداد لأزمة الإنسان المعاصرلأبعاد فلسفة ما بعد الحداثة و ما بعد البنيوية....

يوضح المفكر فتحي المسكيني ان نص بتلر حول قلق الجندر بان" الهوية الجندرية عبارة عن فعل انجازي و ليست جوهرا بيولوجيا او ماهية اجتماعية مستقرة بلا رجعة، فعل انجازي أي شيء لا نكونه بل نفعله شيء لا يقع بل دور نؤديه و هو لا يبدو لنا امرا طبيعيا الا انه تماهي مع النية النحوية التي نعبر بها عن انفسنا." [[3]](#footnote-3)

**رابعا: الموقف البيوتيقي من العبور الجندري:**

 لقد اضحى البحث في مصير الجسد و التدخلات الطبية اللامحدودة في تكوينه أو تحويله من حال الى حال آخر مخالف تماما له ، ويعد من اهم الإشكاليات البيوتيقية خاصة ان التحديدات و المبادئ التي تقوم عليها البوتيقا تحترم الذات و تحترم مبدأ الكرامة الإنسانية و تتأسس على الإجراء الطبي العلاجي لا التحويلي التام للجسد و الذات يقول الفيلسوف الفرنسي بول ريكور في كتابه العادل: " ... في المستوى التفكيري يتخذ الحكم الأخلاقي له مرجعا واحدا أو أكثر من التقاليد الإتيقية المتجذرة هي ذاتها انثروبولوجيا فلسفية:ففي المستوى توضع مفاهيم مثل الصحة و السعادة موضع نظر و يحيط التفكر الإتيقي بمشكلات جدا اساسية مثل مشكلات الحياة و الموت"[[4]](#footnote-4).و معنى هذا ان قبل كل اجراء طبي علاجي معاناة مريض و بعد التدخل العلاجي سعادة و تجديد لمعنى الحياة و الكينونة، ان المطلب الحقيقي للطب هو ازالة المعاناة عن المريض و تحقيق الراحة الجسدية و النفسية له.و لذلك كانت الغاية الحقيقية للمارسة الطبية هي خدمة الإنسان و اخراجه من حالة الحرج الى حالة الإرتياح، غير ان التجاوزات البيوتكنولجية التي تتدخل بشكل لا مشروط في الجسد البشري لم تعد تهتم باعادة التنظيم الصحي الاستشفائي للانسان بقدر ما تهتم باجراءات التحويل الكلي او الشبه كلي في الجسد البشري و المقصود بالتحويل هنا ( التحيل الجيني، التحويل الجندري، التحويل التجميلي...) و هنا يتحدث الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس عن الإفراط في استخدام الحرية للتدخل في التحسينات و التحولات الجسدية و ينتقد بذلك دعاة الليبرالية التحسينية : " فما لا ينتبه اليه دعاة الليبرالية التحسينية هو ان الذات التي يتم تحسينها هي في الحقيقة ان الموضوع لانها ليست هي من يختار عمليا.."[[5]](#footnote-5) ان البعد البيوتيقي يتمثل في اعادة محورة الجسد كجسد طبيعي يحاول تحقيق الراحة و اللذة و المتعة دون تجاوزات بيوتكنولوجية ، ولذلك يمكن اعتبار ان الإفراط في استخدام الحرية بغرض العبور الجندري دون أسباب تشخصية طبية عميقة يعد خرقا للطبيعة الجنسية و الهوية الجندرية ، كذلك اي محاولة للعبث بالجسد برعبة التغيير من اجل التغيير فقط لا من اجل الحتمية البيولوجية (نقصد بذلك انحراف او تشوه في الجهاز التناسلي)يعد خرقا صريحا للمبادئ الاتيقية و خرقا للكينونة الإنسانية و الأنطولوجية، لا يمكن باي شكل انكار بان للطب قدرة خارقة في اعادة ابتكار الجسد سواء بالتدخل الجراحي او العلاج الهرموني فالاستعمال التقني للجسد من الحمية الى الرياضة الى الجراحة التجميلية، و الترميم الاعضاء التناسلية و التغيير الجندري هي في الحقيقة ذات ابعاد انطولوجية عميقة غرضها السعي اللامتناهي في تحقيق الكمال الفيزيولوجي و المثال الجسدي الذي لا يعتريه اي تشويه او نقصان، " إنه اعادة تشكيل للمثالي في عمق الكيان المادي الذي يمتلكه الإنسان" لقد اصبح الجسد هو الجوهر هو الكيان الوحيد الحامل للمشروع الإنساني، انه القدر الخير لهذا الكائن ، فهو دائم البحث عن الحرية و الكمال و المثالية.اشار الفيلسوف الفرنسي ميشال انفراي "انه لم يعد بامكان الفلسفة ان تفكر في الوجود و في الإنسان دون استحضار النوعية التي يعرفها الطب و و تكنولوجيا الجسد..."[[6]](#footnote-6) فالجسد يتحول بفضل البيوتكنولوجيا من مجرد قدر محتوم يتلقاه الإنسان منذ لحظة الولادة الى طبيعة ثانية جديدة تتحدى و تتعايش في الوقت ذاته مع حتمية الموت و الشيخوخة و الهرم و الجنس فمن خلال الحالات المتعددة للعابرين جندريا يمكن القول ان الجسد يمكن ابتكاره و تعديله و تمكنيه من الإستجابة لمتطلباته البيولوجية و انسجام العضوية الداخلية مع بعضها البعض.

يبقى التساءل البيوتيقي الثاني و هو لا يقل اهمية عن الأول حول حقوق العابرين جندريا و مكانتهم في المجتمع و امكانيات قبولهم و الإعتراف بتواجدهم الجندري الجديد؟ فبعد النجاحات الطبية و التعديلات الجسدية الحاصلة لهؤلاء العابرين نتساءل عن حقهم الإجتماعي هنا تبرز مسألة البحث عن هوية جديدة تنسجم مع الشكل الجديد للجسد فان كان هذا ممكن طبيا و نفسيا فمن الناحية الإجتماعية يعد احد الطابوهات التي طالما ادمجت في قضايا المسكوت عنها، باعتبار التصور الإجتماعي السائد عن الجندر فما الفناه انثويا يصعب تقبله ذكوريا او العكس و لذلك تشير الدراسات الى التصنيف الجندري البيني اي تصنيف جنس ثالث لاهو ذكري و لا هو انثوي هو معدل طبيا جنسيا اما جندريا فيصعب الحاقه بجنس واحد محدد بشل طبيعي. حتى من الناحية القانوية يجد العابرون جندريا صعوبات كثيرة في اعادة تحديد هويتهم الإدارية و تغيير القابهم و ادماجهم ضمن الإحصاء التصنيفي للذكور و الإناث تجدر الإشارة هنا الى ان العابرين جندريا لم يجدوا مجالا اكثر اريحية و حرية الا في الفضاء الإفتراضي وسائل التواصل الإجتماعي مما ادى الى ايصال مشكلاتهم لمختلف الشرائح الإجتماعية كما لا يفوتنا الإشارة الى ان كثير من الدول الأروبية خاصة بريطانيا و المانيا و فرنسا وبلجيكا اصدروا قوانين و مواد تحمي حقوقهم المدنية و الإدارية كما تدخلت عديد المنظمات الحقوقية لحمايتهم، غير ان مسألة تعايشهم داخل المجتمع تبقى محدودة و خاضعة لحالات التنمر و العنف احيانا خاصة في المجتمعات المحافظة كالمجتمعات العربية.

1. غوديت بتلر: نظرية النوع الإجتمماعي ، منشورات الجامعية، ص 17 [↑](#footnote-ref-1)
2. جوديت بتلر: الأداء الهشاشة و السياسات الجنسيةن مجلة الانثروبولوجيا امريكا اللاتينيةن 2009، ص 331 [↑](#footnote-ref-2)
3. هلع نظرية الجندر عند جوديت بتلر من موقع https/alimond ,com gendre\_trouble 2022 [↑](#footnote-ref-3)
4. بول ريكور: العادل، الجزء الثاني، تعريبن عبدر العزيز العيادي و منير الكشو ، تنسيق فتحي التريكي، بيت الحكمة قرطاج، 2003، ص 560 [↑](#footnote-ref-4)
5. Habermas,j ; L AVENIR DE LA NATURE HUMAINE.P 13 [↑](#footnote-ref-5)
6. مجموعة من المؤلفين: البيوطيقا الطبعة الولى 2010 التوزيع دار بترا للنشر و التوزيع، ص 26 [↑](#footnote-ref-6)